

كلية الآداب



جامعة بنها



قسم الفلسفة
اسم المادة: الفلسفة الحديثة
الفرقة: الثالثة
أستاذ المادة: أ.د محمد عبدالحفيظ

الفلسفة الحديثة

× المحاضرة الاولى : طبيعة الدين :

× يتفق أو نختلف مع الدين ، ولكن يظل للدين طبيعته الخاصة ، وتأثيره علي أصحاب المعتقدات الدينية ، يتجاوز كل تصور ، ويقف الإنسان بإزائه عاجزاً عن تقديم تفسير لما يحدث . وانطلاقاً من طبيعة الدين غير المحددة ينعكس ذلك علي تعريف الدين . حيث يوجد تعريفات متعددة للدين من أهمها التعريف الوصفي والتعريف المعياري ((أما التعريف الوصفي فإنه قائم علي دراسة حقائق التجربة الدينية دون الحكم علي قيمة تلك الحقائق ، أنه يوضح أن تلك المعتقدات قد سادت عند وجود الدين .. أما التعريف المعياري فإنه يشير إلى ما ينبغي أن يكون عليه الدين .

× وهي مع ذلك - أي الألوهية - استحوذت علي تفكير الإنسان مهما اختلفت درجة ثقافته ، وجدنا ذلك في العصور السحيقة التي كانت الإنسانية فيها مازالت تخطو خطواتها الأولى ، وسيطر الغموض علي كل شئ والجهل بكل ما يحيط بالإنسان عندئذ ، حيث انتشرت الأسطورة وما علي ذلك في محاولة لإيجاد تفسير للظواهر التي يجهلها الإنسان ، عند ذلك أهتم الإنسان بالوصول إلى حجج وأدلة لتعضد تلك الحقيقة التي لا اختلاف عليها الأ وهي وجود إله . وحتى عندما حققت الإنسانية تقدماً ملموساً بفضل المنهج العلمي ، الذي أخذ بيد الإنسان علي كافة الاتجاهات ، وساعده في الوصول إلى درجة من التقدم والحضارة ، حتي أن البعض قد وقع في ظنه أن الدين بموضوعاته في طريقها إلى الزوال.

× ولكن هيهات أن يحدث هذا ، بالنسبة للدين ولا سيما فيما يتعلق بوجود إله . ظل هذا الموضوع يستحود على تفكيرنا بالقدر الذي استحود على الإنسان وهو يخطو خطواته الأولى منذ فجر التاريخ والطبيعة الغامضة من حوله . ولقد استحوذت الألوهية على الوجدان الإنساني وامتلكت تفكيره ، سواء كان ذلك بالموافقة أو الرفض . لأن كلا الموقفين يتطلب من الإنسان أخذ موقفاً وإيجاد أدلة تعضد موقفه ، بمعنى أن الإنسان الذي يعتقد بوجود إله يبحث عن الأدلة والأسباب التي جعلته يعتقد مثل هذا الاعتقاد ، وعلى الطرف الآخر الإنسان الذي يرفض وجود إله ، يبحث هو الآخر عن الأدلة التي تعضد موقفه . وإذا كان وجود الله من الحقائق البديهية الواضحة التي لا اختلاف عليها نجد أن طبيعته مستغلقة عن الفهم.

المحاضرة الثانية : الإنسان والفلسفة

- × إن الإنسانية عندما بدأت المعرفة أدركت تماماً أن المعرفة هي من أجل العيش ، ثم بعد ذلك وجدنا المعرفة التي يمكن أن نسميها معرفة ترف تقوم هي الأخرى ، بتلبية مطالب أو حاجات جديدة . والرغبة في المعرفة إذن في البداية ترتبط بشكل مباشر من أجل تلبية الحاجات الضرورية التي ينسب لها إشباع الحاجات الملحة ألا وهي الحاجة أن يعيش الإنسان أولاً ثم بعد ذلك يتم اشباع الرغبة الفطرية في المعرفة ألا وهي المعرفة التي تتعلق بما اطلقنا عليه معرفة الترف .
- × وهكذا نجد أن الإنسان لا يعيش وحيداً أو منعزلاً ولكن يحيا كعضو داخل المجتمع . وهناك منفعة أو مصلحة متبادلة ما بين الفرد والمجتمع الذي يحيا في كنفه فكلاما في حاجة ضرورية إلى الآخر ، لأن الفرد إذا كان يحيا بفضل غريزة والحفاظ علي الحياة ، كذلك فإن وجود المجتمع واستمراره يرتبط بشكل مباشر بغريزة حب البقاء عند الأفراد .
- × فإذا كان للعقل دوراً رئيسياً في تقدم الإنسانية ، فإن العقد يرتبط ارتباطاً مباشراً باللغة . فنحن لا نستطيع اغفال أو تجاهل دور اللغة وأهميتها في نقل ما نغظر فيه إلى غيرنا . فنحن نفكر بوضوح بفضل اللغة المنطوقة . وأن التفكير هو بمثابة حديث النفس للنفس . والإنسان يتكلم مع ذاته كما نتكلم مع بعضنا البعض . وما يهم الإنسان هو نقل ما يفكر فيه إلى الآخرين ولن يتم ذلك بمعزل عن اللغة .
- × إن البداية الحقيقية العملية وليست النظرية هي نقطة الانطلاق الحقيقية عند كل فيلسوف . ان أونامونو . كما اشرنا سابقاً . يرفض تماماً أن هناك معرفة من أجل المعرفة أو فلسفة من أجل الفلسفة ، ولكنه يريدنا معرفة عملية أو فلسفة عملية حتي يتم التفاعل معها . ان كل ما يقوم الفيلسوف عليه أن يتعد تماماً عما هو نظري إذا أراد أن يظل إنساناً .

المحاضرة الثالثة : إنسانية الحب

يتناول أونامونو الحب من منطلق واقعي يلتصق فيه بالحياة ولا يتجاوز الواقع الفردي الإنساني والحب من الكلمات التي تتعدد التعريفات بشأنها وشأنها شأن كل ما هو إنساني لا نستطيع ان نتفق علي تعريف محدد بشكل قاطع . واتفقت الإنسانية علي أن لا تتفق ، وفي هذا بعد إثراء لكل ما هو إنساني . فالحب عند أونامونو يحدث عندما " نتحد بالآخر" ومن التعريفات التي قيلت عن الحب أنه أنانية متبادلة . لان الواقع يظهر ان كلا المحبين يسعي إلى امتلاك الآخر . ومن خلال الآخر يسعي إلى الاستمرار في البقاء . وأن كلا المحبين يمثل لذة مباشرة للآخر ، واستمراره في البقاء بصورة غير مباشرة وبذلك ينطبق عليهما . أي كلا المحبين . بانهما طاعيتان وعبدان ، بمعنى أن كلاهما طاغية وعبد للآخر في آن واحد .

وعندما تتعدد المعوقات التي تقف حجر عثره إزاء المحبين يزداد تمسك كل منهما بالآخر ، ويتضاعف لديهم الألم لإحساسهم بقلة الحيلة في أن يحدث الحب بينهما بوضوح وحرية ، وعندئذ شفق كل منهما علي الآخر من أعماق قلبه . مثل هذه المشقة المشتركة تتضمن بؤساً مشتركاً وسعادة مشتركة ، يترتب عليهما اشتعال الحب بينهما اكثر ، في هذه الحالة يجمعها الوجد ويحدث التلذذ بوجعهما . وأن مثل هذا الحب البائس المتوجع ، يجعلهم في ضيق ويسيطر عليهم اليأس في استحاله أن يجمع بينهما الحب في هذه الحياة . عندئذ لا يوجد أمامهم سوي الأمل في عالم آخر ، لا توجد فيه مثل هذه المعوقات . في هذا الوضع القائم الميؤوس منه يتغلغل بداخلهما الأمل والإيمان بعالم اخر .

إن الحب والشفقة عند أونامونو وجهان لعملة واحدة وتقتربان ببعضهما البعض ولا يوجد انفصال بينهما . فالإنسان ينتقل من الحب اي من الشفقة علي نفسه من أنه لم يكن شيئاً قبل الولادة ، كما أنه لم يكون شيئاً بعد الموت . ومن هنا فإن الشفقة أي الحب يجعلك تشفق أو تحب كل من يشبهك من اخوانك .

المحاضرة الرابعة : الإيمان والرجاء

واتساقاً مع فلسفة أونامونو نجاهه يذهب إلى القول بأننا من خلال الإيمان في إمكاننا أن نصل إلى الله القلبي أو الحي . ويرفض تماماً إمكاننا الوصول إلى الإله من خلال العقل ، لأن الإله العقلي أو المنطقي إله ميت لا جدوي منه .

ان موقف أونامونو هذا لا يعجل القيادة في الإيمان للعقل ولكن تظل القيادة في الإيمان للعاطفة وأن كان خفف من موقفه المتشدد بأزاء العقل ودوره وهنا نتذكر ما ذهب إليه القديس أوغسطين في أن الإيمان أولاً ثم يأتي بعد ذلك دور العقل .

ولكن ينبغي علينا أن لا نفهم من ذلك تناقض أونامونو مع موقفه الراض لما هو نظري ، ولكن لا يخرج عن كونه تخفيفاً من حده موقفه مع ما هو نظري . وهذا يفسر لنا عودته مباشرة إلى التأكيد على أن ثقته في الإيمان أكثر من ثقته فيما هو عقلي "

لم ولن نسمع عن انسان قام يبذل حياته دفاعاً عن زوايا المثلث الثالث تساوي قائمتين لان مثل هذه الحقيقة ليست في حاجة إلى التوضيح من أجلها . ولكن نجد في المقابل أن هناك كثير ممن بذلوا حياتهم دفاعاً عن الإيمان الديني ، انطلاقاً من أن الشهداء يصنعون الإيمان أكثر مما تصنع الإيمان الشهداء .

إن النتيجة المهمة للإيمان هي الخلق ، لأن الإيمان يخلق موضوعه . وإيماننا بالله يكمن في خلق الله ، فإذا كان الإيمان هبة من الله ، فإن الله هو الذي يخلق نفسه فينا فإن ذلك من خلال الشفقة والحب . والإيمان بالله يتمثل في حبنا إياه وخشيته بحب . وبمعنى أدق أن نبدا بحبه وبمعنى أدق أن نبدا بحبه وذلك قبل معرفته ، وحبه يعني أننا نراه ونكتشفه في كل شيء .

وفي كلمة نهائية يذهب أونامونو أي أن العالم ينقسم إلى قسامين شرقي وغربي . والشرق أكثر تعاطفاً مع الإيمان بالأسرار ، والغرب أكثر تمسكاً بالحقيقة العلمية . والشرقي يطلب من الأزلي أن يأخذ بيده ويساينه فيما يعترضه في الحياة من مشكلات ، بينما الغربي يمسك بالواقع ليضفي عليه أسباباً معقولة ومفهومة . وكلاهما ينظر إلى الآخر نظرة سيئة بل يحتقره في جوانب كثيرة . ولكن في الواقع أن كلا نصفي الكرة معا يشكل العالم كله ، ولا نستطيع أن نتجاهل نصف العالم من أجل النصف الآخر . ولكن كلاهما يمثل العالم .

المحاضرة الخامسة : الإيمان والخلود

إن الرغبة في الخلود تسيطر علي الإنسانية حتي من ينكرون الخلود يتمنون من داخلهم الخلود . إنها صرخة مدوية بداخل الإنسان يتمني أو يحلم بالخلود ولكن إذا حاولنا ذلك عقلياً نصاب بخيبة الأمل ، ولم لا ؟ والإنسان يكون أكثر إنسانية بالإحساس والمشاعر والوجدان ، وقبلما نصل إلى ذلك الاعتقاد بالخلود من خلال العقل . إنه الإنسان الذي ينبهنا إليه أونامونو ليس عقلاً فقط ولكنه إنسان بلحمه وعظمه واحساسه ووجدانه .

إن ما يرسخ الحب بداخلنا إنما هو شعورنا بزوال العالم العرضي . والحب هو الشئ الوحيد الذي يتغلب علي كل ما هو وقتي وزائل ، وأنه الشئ الوحيد الذي يثري الحياة ويخلدها وهكذا نجد أن الحب يأخذنا إلى ما هو أبعد من العالم العرضي ، ويكشف لنا عن أمل في وجود عالم آخر .

وتعبيراً عن الرغبة الدافينة عند الانسان للخلود ، نجدها أكثر وضوحاً في الاختلاف البين بين ما كان يسكن فيه وبين ما أعده لأن يدفن فيه . نجد أنه قام ببناء مساكنه من طين أو أكواخ من القش لم تصمد كثيراً هدمتها عوامل الطبيعة . بينما نجد في المقابل ترتفع أضرحة الموتى ، وتم استعمال الحجر في بناء القبور قبل استعمالها في بناء المساكن .

يذهب أونامونو إلى القول بأنني لست قلقاً علي شئ مهما كان طالماً أنني لن أكون خالداً . أنني لست علي استعداد أن افني في أي شئ مهما كان حتي لو كان هذا الفناء في الله الذي أصبو إليه ، المهم أنني في حاجة ضرورية وملحة علي أن أكون أنا الذي أكلمكم الآن ، ولن أقبل بخداع الواحدين ، لأنني لا أجد بديلاً يقنعني سوي أنني أريد الخلود حسبما كما أنا موجود عليه الآن .

المحاضرة السادسة : البحث الديني اسبابه ودوافعه

نجد ان الدافع الذي أدى بحيمس الي البحث في الدين دافعاً ذاتياً يتمتع برؤية خاصة لا تتجاوز كونها راحة نفسية أو تفاؤل هذا فيما يتعلق بالدافع ولكن فيما يتعلق بفلسفة الدين عند وليم جيمس التي سنتناولها ، فقد طبق وليم جيمس المنهج العلمى التجريبي علي الدين بشكل نستطيع ان نقول وبحق ان كتابة (تعدد الخبرة الدينية) من أهم الكتب التي تناولت الدين في هذا العصر ، محاولاً تطبيق المنهج العلمى حتي يستطيع ان يصل الي ما يصبو اليه من تجاوز الاختلاف والتناقض بين العلم والدين .

جيمس فيلسوف برجماتي ذو نزعة إنسانية مرهف الحس والذوق ويتميز بقلب دافئ واسع الأفق ، محباً للإنسانية ، كما أنه محباً للحياة مقبلاً عليها ، ويتضح ذلك من خلال سيرته الذاتية التي تناولها الكثيرون ولا سيما تلميذه رالف بارتون بيرى . وبناء عليه فإن جيمس يرفض أو على الأصح لا تنسجم شخصيته مع الفناء ولكنه يحبذ الخلود والبقاء للإنسانية ، تمشياً مع كونه فخوراً بإنسانيته سعيداً بالحرية الملقاه علي عاتقه ، مصمماً علي أداء دوره كاملاً غير منقوص مصراً علي نقل ما يختلج به صدره وما يؤدي به السعادة للإنسانية جمعاء .

حقيقة ينبغي ان نؤكد عليها ، وهي أن الإعتقاد الديني عند جيمس لا يعني أنه يؤمن بالدين بطريقة تقليدية وراثية ، بل أننا لا نستطيع أن نصنف جيمس في قالب محدد لا يخرج عن نطاقه في إطار عقيدة دينية محددة ، وفي ذلك نتفق مع ما يذهب إليه بيرى إلي أن " دين جيمس لم يتخذ شكل العقيدة التعسفية الجازمة ، ولا شكل الولاء لمذهب . كان جيمس جوهرياً رجل إيمان . وإن لم يكن مشايحاً لآيه كنيسة أو مذهب أو ملة أو عقيدة ضد الباقي .